

محاضرة في علم الدلالة
الأستاذ الدكتور: عيسى بوفسيو
السنة الجامعية: 2024 - 2025

*بطاقة التواصل للمقياس

الكلية: الآداب واللغات

القسم: اللغة والأدب العربي

المقياس: علم الدلالة

المستوي الدراسي: السنة الثالثة

التخصص: لسانيات عامة

السداسي: الخامس

المعامل: 2

الرصيد: 4

الحجم الساعي: ساعة ونصف

اسم ولقب الأستاذ: عيسى بوفسيو

البريد الإلكتروني aissa.boufissou@univ-msila.dz

السنة الجامعية: 2024 - 2025

بطاقة التواصل

الأستاذ الدكتور : عيسى بوفيسو
البريد الإلكتروني: aissa.boufissou@univ-msila.dz
الهاتف : 0661217945
السنة الجامعية : 2025-2024



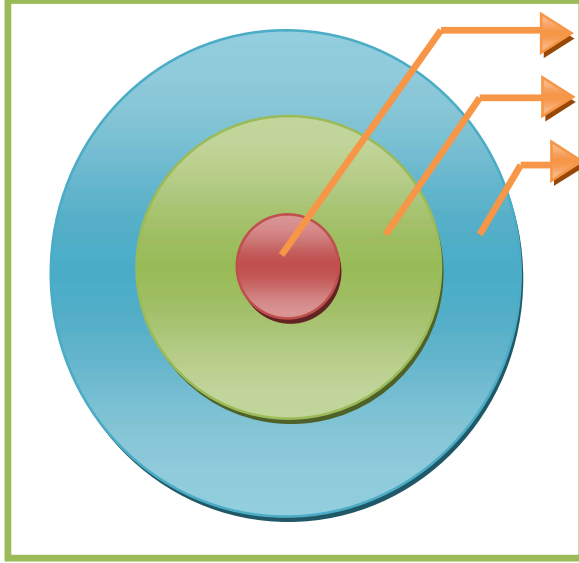
الكلية: الآداب واللغات
القسم: اللغة والأدب العربي
المقياس: علم الدلالة
المستوي الدراسي: السنة الثالثة
التخصص: لسانيات عامة
السداسي: الخامس
المعامل: 2
الرصيد: 4
الحجم الساعي: ساعة ونصف

*الفئة المستهدفة بالمقياس والهدف منه:

دروس موجهة لطلبة السنة الثالثة تخصص لسانيات عامة

- تعريف علم الدلالة.
- موضوع علم الدلالة وعلاقته بعلم اللغة.
- نظرية الحقول الدلالية.
- معجم الحقول الدلالية.
- التطور الدلالي مظاهر.

أهداف المحاضرة



- التعرف بعلم الدلالة.
- التعرف بموضوع علم الدلالة وعلاقته بعلم اللغة.
- التعرف بنظرية الحقول الدلالية.
- التعرف بمعجم الحقول الدلالية.
- التعرف بالتطور الدلالي ومظاهره.

التقويم التشخيصي والمكتسبات القبلية

* ما مفهوم علم الدلالة وما موضوعه ؟

* ما علاقته باللسانيات الحديثة ؟

* ما المراد بالحقول والمعاجم الدلالية ؟

* ما المراد بالتطور الدلالي ومظاهره ؟

المحاضرة

1- تعريف علم الدلالة (*sémantique*):

هو العلم الذي يدرس ظاهرة معينة للوقوف على ماهيتها و جزئياتها و ما يتعلق بها دراسة موضوعية، والدلالة قد يختلف تعريفها من باحث لآخر و لناخذ مثالا لتعريفها من كتاب التعريفات للجرجاني السيد الشريف حيث قال: " الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر و الأول هو الدال و الثاني هو المدلول . و هي إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن أو دلالة التزام وكل ذلك يدخل في الدلالة الوضعية لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة و على جزئه بالتضمن و على ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فانه يدل ع لى تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، و على جزئه بالتضمن و على قابل العلم بالالتزام". (1)

إن الحديث عن الدلالة الوضعية هنا يدفعنا إلى الحديث عن نوعي الدلالة أو الدال و هما الدال اللغوي و الدال غير اللغوي؛ فالدال اللغوي (اللفظ) في رأي الباحثين بغض النظر عن بعض الاستثناءات هو دال وضعي اعتباطي أي أن علاقته بالمدلول علاقة عرفية تواضعية، و بالعودة إلى (الدلالة) في اللسانيات الحديثة (البنوية) عند فردينان دي دو

سوسير (Ferdinand de Saussure) دال (لفظ) و هناك مدلول (معنى) أو مفهوم و الدال و المدلول وجهان لوحدة واحدة و لا يمكن الفصل بينهما، و إن تحليل الدال يؤدي إلى تحليل المدلول . (2)، لأن

سوسور يبدو أنه حصر عناصر الدلالة في الدال و المدلول ، و أهمل الموضوع وهو الشيء أو المرجع الذي تحيل اليه العلاقة الدلالية ، و هو في ذلك يلتقي - في هذه الثانية - مع ابن سينا الذي حصرها بين اسم (مسموع) و معنى؛ في حين يرى تشارلز بيرس " Peirce Charles " (بيرس) العلاقة ثلاثية: الصورة (الدال) و المفسرة (المدلول) و الموضوع، و هو ما تحيل إليه العلامة، أي الشيء (المرجع).
أما الغزالي فيرى أن الأشياء لها أربعة مراتب حيث يقول " إن للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في اللفظ ثم في الكتابة؛ فالكتابة دالة على اللفظ ، و اللفظ دال على المعنى الذي هو في النفس ، و الذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان. " (3).

2- موضوع علم الدلالة وعلاقته بعلم اللغة:

الحديث عن علم الدلالة (sémantique) و موضوعه يقتضي تحديد علاقة علم الدلالة بعلم اللغة ؛ وذلك باعتبارين الأول: أن يكون علم الدلالة فرعا من فروع علم اللغة (اللسانيات) ، و الثاني أن يكون علم اللغة فرعا من علم الدلالة أو علم العلامات الذي يطلق عليه مصطلح (العلامية) أيضا. فموضوع العلامية (العلامات و الإشارات و الأدلة بمفهومها الواسع)؛ لغوية كانت أم غير لغوية و هذا ما ذهب اليه اللساني السويسري (سوسور). و اذا بدأنا بالاعتبار الأول (كون علم الدلالة فرعا من اللسانيات) لابد من العودة إلى مستويات البنية اللغوية و هي على الشكل التالي:.

المستوى الدلالي	المستوى البلاغي / علم البلاغة والأسلوب
	المستوى النحوي / علم النحو والتراكيب
	المستوى الصرفي / علم الصرف
علم الدلالة	المستوى الصوتي / علم الأصوات

و هنا نلاحظ أن المستوى الدلالي في هذا البناء هو مستوى يتقاطع مع جميع المستويات الأخرى؛ لأن الدلالة حاضرة و ناتجة عن تفاعل كل هذه المستويات، حتى المستوى الصوتي الذي يقال أنه مستوى الوحدات غير الدالة . وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم هو تقسيم نظري افتراضي؛ فاللغة تعمل لأداء مهمتها وفق نظام اللغة الذي يندمج فيه كل هذه الأنظمة. فعلى مستوى العمل و الأداء ليس هناك مستويات منفصلة، و إنما التقسيم إلى هذه المستويات لضرورة البحث و التحليل و الدراسة اللغوية؛ فالمتكلم الذي يتكلم وفق نظام اللغة لا علاقة له بهذه المستويات التي لها أنظمة خاصة بها، وعلى أية حال يبدو لنا في هذا التحليل أن علم الدلالة الذي يبحث في أحد تلك المستويات هو فرع من علم اللغة أو اللسانيات؛ أما بالاعتبار الثاني فيظهر لنا في المستوى الأدائي أن علم اللغة هو أهم عناصر علم العلامات ، إلى جانب عناصر دلالية أخرى غير لغوية، و أن العناصر اللغوية هي المعول عليها في الاتصال الذي يقوم أساسا على فهم العلاقة بين الدال و المدلول ؛ بل أن اللغة حاضرة دائما في كل فروع الدلالة لغوية كانت أم غير لغوية، و إذا كنا سنولي اهتمامنا

للدلالة اللغوية (الدليل اللغوي) دون التفصيل في الأدلة غير اللغوية ، وبما أننا نستعمل مصطلحات مثل (لغة، لسان، كلام)، فلا بد من محاولة تحديد مفهوم هذه المصطلحات ، و إن كانت متداخلة أحيانا في أذهان الناس؛ بل و في أذهان الطلبة و الباحثين في علوم اللغة، و قد لا نحتاج هنا إلى التفاصيل التي تدرس في علم اللغة أو اللسانيات و لكن يمكن أن نوضح هذه المفاهيم بما يلي:

من الشائع بين اللسانيين أن اللغة ليست الكلام و لا اللسان و إنما هي

اللغة (4)

و يلاحظ هنا أن هناك ثلاثة مصطلحات لثلاثة مفاهيم ، و كلها تمثل ما يسمى بالظاهرة اللغوية التي ترتقي من الكلام و هو كلام الأفراد كما نسمعه أو نحادثهم فيه و هذه هي المرتبة الفردية، و هذا الذي يمكن أن نسجله على آلة التسجيل، ثم تأتي مرتبة (اللسان) و تتطابق مع منزلة الوجود النوعي و هو الاشتراك في معرفة ما يتم التحاور به ضمن كل مجموعة لغوية (اللسان العربي أو الانجليزي أو الصيني)

؛ أما مرتبة اللغة فهي تتطابق مع جملة من القوانين التي إن أطلقت صدقت على كل لسان من الألسنة البشرية (5)، و هنا تبدو اللغة أعم من اللسان، و تدرس من خلال ما يسمى باللسانيات العامة مقابل اللسانيات الخاصة التي تدرس نظام كل لسان بشري على حدة، و في سياق آخر نجد أن اللسان أعم من اللغة مع إمكان استعمال كل منهما في مكان الآخر.

و الحقيقة أن الظاهرة اللغوية تستوعب المفاهيم الثلاثة السابقة (الكلام، اللسان، اللغة) فاللغة (لغة الناس/ البشر) و اللسان (لسان الجماعة اللغوية) و الكلام (كلام الأفراد)؛ اللغة مفهوم كلي و اللسان

مفهوم نمطي و الكلام مفهوم إنجازي (6) نستخلص من هذا أن اللغة جنس، واللسان نوع، والكلام شخص.

إن اللساني يدرس البنية اللغوية في جوانبها الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية ثم يعمل على كشف ارتباط هذه البنية بوظائفها الاجتماعية، بعد هذا يظهر لنا أن موضوع علم الدلالة هو الأدلة بشكل عام و الدليل اللغوي بشكل خاص ، و علاقة الدوال بمدلولاتها و يتفق عدد كبير من الباحثين على أن السيميائ كنوع من اللسانيات كان من أثر اللغوي الفرنسي بريال (1883)، باعتبار أن هذا العلم يدرس الدلالات و القوانين التي تتحكم في تغير المعاني ، أو أن الموضوع هو المعنى. (7)؛ أما غاية هذا العلم فهي خاصة و عامة؛ فالغاية الخاصة هي أن علم الدلالة – مثل أي علم آخر- يسعى إلى الاستقلالية و امتلاك الأدوات و المناهج الرياضية ، و هنا ينبغي الإشارة إلى الاهتمام بهذا العلم حيث ظهر في عام 1923 كتاب عنوانه (the meaning of meaning) معنى المعنى لمؤلفيه Richards و Ogden. و أما الغاية العامة فههدف علم الدلالة كغيره من العلوم الإنسانية هو الإسهام في ترقية الحياة (8)

3- نظرية الحقول الدلالية:

لم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلا في العشرينات و الثلاثينات من القرن العشرين على يد علماء سويسريين و ألمان ثم تطور علم الدلالة (sémantique) في فرنسا باتجاه خاص حيث ركز motore و أتباعه (1953) على حقول تتعرض ألفاظها للتغيير و الامتداد و تعكس تطورا سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا هاما، تبني هذه النظرية على المفهوم الحقلّي، و هو المفهوم الذي يندرج تحته مجموعة من العناصر التي

تربطها علاقة ما ؛ لأن المفهوم قاعدة تصنيفية، تصنف من خلالها أشياء الكون و عناصره وفق قواعد معينة (9)، و يعرف الدكتور عبد السلام المسدي الحقول الدلالية بقوله: " أما الحقل الدلالي لكلمة ما فتمثله كل الكلمات التي لها علاقة بتلك الكلمة، سواء كانت علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل جزئي أو كلي....فكل مجموعة نسميها الحقل ، و الحقل هو المعنى العام الذي يشمل كل الوحدات (الحيوان مثلا هو الحقل الذي تندرج فيه كل الحيوانات (المخلوقات التي فيها الحياة و الحركة)" (10) ، و تعتبر منهجية تحليل الحقول الدلالية هي الأكثر حداثة في علم الدلالة ؛ فهي لا تسعى إلى تحديد البيئة الداخلية لمدلول الكلمات فحسب؛ بل إلى الكشف عن بيئة أخرى تسمح

بالتأكد من أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد من الكلمات ، و لا تصنف هذه الطريقة مدلول الكلمات في حقول دلالية مبنية على الترادف و التماثل فقط مثل: طالب، تلميذ؛ و إنما تكون كذلك مبنية على التضاد مثل الطويل - القصير، الأبيض - الأسود، الصغير- الكبير أو على علاقة التدرج ، أو على علاقة السبب بالمسبب بالإضافة إلى ذلك فقد تكون العلاقة في الحقل الدلالي مبنية على الأوزان الاشتقاقية و التصنيفات النحوية أو الحقول السنتجمائية؛ إن هذا التحليل الأولي للحقول الدلالية تتبعه امتدادات فمن جهة:

- التقابل الكلي: ليل / نهار
- التقابل الجزئي: يوم / نهار
- التدرج: هزيل / ضامر / أعجم، والمرأة : ربحلة - سبحلة - ضناك - عفضاج

- السبب و المسبب: سحاب / مطر.

إن أصحاب نظرية الحقول الدلالية يذهبون إلى أن فهم معنى كلمة ما يقتضي فهم مجموعة الكلمات التي ترتبط بها دلالياً ، و لذا يعرف أحد العلماء معنى الكلمة بأنه محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي (11) . و هدف التحليل في هذه النظرية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً والكشف عن صلاتها الواحدة بالأخرى ، وصلاتها بالمصطلح العام (12)

و هناك جملة من المبادئ تتعلق بهذه النظرية (13) هي:

1. ليست هناك وحدة (لغوية معجمية) تنتمي إلى أكثر من حقل.

2. ليست هناك وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

3. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

4. يستحيل أن تدرس المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

و هذا لا يعني سهولة تصنيف الكلمات في حقول دلالية؛ فقد يستعصي أحياناً إدراج بعض الكلمات في حقل دلالي معين، ولهذا تبدو مشكلة تصنيف المعجمات وفقاً للحقول الدلالية مستعصية الحل، والسبب في ذلك يرجع إلى ما يلي:

1. صعوبة حصر الحقول الدلالية ، أو المفاهيم الموجودة في اللغة و تصنيفها .

2. صعوبة التمييز بين الكلمات الأساسية ، و الكلمات الهامشية داخل الحقل ؛ فالكلمة الأساسية هي الوحدة المعجمية المفردة، و لا يمكن التنبؤ بمعناها من خلال معنى أجزائها فقد يعتمد التمييز على الاستقرار و الإحصاء للكلمات الأكثر استعمالاً.

3. صعوبة تحديد العلاقات بين الكلمات داخل الحقل و العلاقات هي:
الترادف – الاشتغال – التضاد – التناظر...). و التضاد منه الحاد مثل:
ميت/حي . و المتدرج مثل: ساخن/بارد و المتعاكس مثل: باع/اشترى،
كما أنه من الصعب وضع الحقول الدلالية لعدد كبير من الكلمات ؛ فلا
نستطيع أن نقول إن هذا الأمر ينتمي إلى حقل دلالي معين (النسر) الذي
ينتمي إلى حقل (الطيور) أو حقل الجوارح أو حقل الطيور غير الأليفة ؛
فهناك تداخل في الحقول الدلالية، كما أن الحقول الدلالية ليست مغلقة بل
هي مفتوحة، و يضاف إليها دائما؛ لأن التطور الاجتماعي يؤثر على
المعاجم، و يمكن التمثيل لذلك بحقل وسائل النقل و المواصلات مثل
(حمار، جمل، عربة، سيارة، طائرة، سفينة فضاء.....)، و قد تنقرض
أو تنزوي بعض الوحدات المعجمية لتفسح المجال لوحدات أخرى في
الاستيراد إذ عندما تظهر لفظة جديدة بواسطة التوليد أو الاقتراض أو غير
ذلك ، فإن مدلول هذه الوحدة الجديدة يبنى على حساب مدلول الوحدات
السابقة التي تفقد جزءا من دلالتها عندئذ، و هكذا تقع هذه الوحدة الجديدة
في السياقات و الحقول التي كانت تقع فيها الوحدات السابقة مثل:
المحراث اليدوي / التراكتور.....و إن كانت قد تتعايش معها لفترات
طويلة.....

و إذا كانت الصعوبة تتعلق بتصنيف المفاهيم ، فقد وضع الباحثون أسسا
يمكن بها تصنيف المفاهيم في حقول بعد أن حددوا المفهوم بأنه قاعدة
معرفية، تمكّن الفرد من تحديد صفة تصنيفية معينة ؛ إن مجموعة
الملامح المشتركة مثلا بين كرسيين بالرغم من طابعيهما المختلفين تكون
التفريق الصحيح للمداول (كرسي) .. ، وبمقارنة الأريكة مثلا مع

الكرسي نجد أنها للنوم، و ليست للجلوس؛ فهناك خاصية تميزها عن الكرسي، و هكذا فان الخصائص التي اكتشفت بشكل مستمر تعطي للكرسي مميزات الدلالية المركبة.

إن هذا التحليل الأولي تتبعه امتدادات؛ فمن جهة إذا قارنا هذا التمييز الدلالي واضعين في الاعتبار مدلولاً معيناً مع مميزات دلالية مركبة مجاورة جامعة تقريباً فإننا نتوصل إلى تعيين تلك المميزات الدلالية المركبة التي يعين غيابها كل واحد من العناصر التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، و فيما يلي جدول يبين المميزات الدلالية المركبة المميزة لخمسة عناصر في حقل الكرسي:

6م	5م	4م	3م	2م	1م	
+	+	+	+	+	+	كرسي
+	+	+	+	+	+	متكاً
+	-	+	+	-	-	اسكاملة
+	+	-	-	+	+	أريكة
+	-	+	+	-	-	دشكة
من مادة صلبة	بمساند	للجلوس	لشخص واحد	على قدم	بظهر	المميزات

و في أطروحة قدمها الدكتور حسن عبد الكريم بعنوان (الموضوعية البنوية – دراسة في شعر السياب) تبين أن أكبر الحقول الدلالية التي

وردت في شعر السياب هي حقل الحب ، و حقل الموت ، و حقل الحياة،
وحقل اللون....بالإضافة إلى حقل الصيغ الصرفية مثل فعلل؛ ففي حقل
الموت تكررت لفظة الموت 93 مرة.....ومن الألفاظ الأخرى في هذا
الحقل: الحمام، اللحد، الرمس، الجدث، الضريح، الشاهد، الجنازة النعش،
التابوت الجثة، الرفات، الدفن، الموارد، الجثمان، الجبانة، النزع، النفر،
المنية، الحتف، الردى، الهلاك، الفناء، الاحتضار؛ أما حقل الحياة فورد
فيه : الحياة 184 مرة و فيه: العيش، الخلود، الولادة، البعث، النشور ؛
وأما حقل اللون فقد ورد منه ما يلي : أسود 67 مرة و منه أيضا : أبيض،
أحمر، قان، أرجواني، أكحل، أزرق، أسمر، أخضر، أصفر، أشقر، أغبر،
خضيب.....(14) و يقال : إن سوسير كان هو السبّاق إلى طرح المجالات
الدلالية ؛ حيث أشار إلى أن الدليل يمكن أن يخضع إلى نوعين من
العلاقات المترابطة:

1 - علاقات مبنية على الصيغة، فكلمة (تعليم) توحى بكلمات مثل: علم -

علم - معلم

2 - علاقات مبنية على المعنى والمدلول ، فكلمة تعليم توحى بكلمات مثل :

تربية ، تكوين ، تنشئة ، رعاية.

و لذا فانه لضبط خصائص العلاقات القائمة داخل حقل من الحقول فان
الكيفية المعتمدة متمثلة في تحليل الوحدات إلى صفات، فالوحدات المنتمية
إلى النظام الدلالي نفسه تتوفر كلها على صفة مشتركة واحدة على الأقل و
هي الصفة المحددة للحقول.

و تختلف بعضها عن بعض بصفة واحدة على الأقل و حينئذ فان المظهر
الصوري للتحليل سيسمح بالوقوف على العلاقات و الاختلافات الموجودة
، و من مكونات الحقل ، و نوضح ببعض الأمثلة أيضا:

1. دراجة نارية: صفاتها:

بعجلتين لشخصين على الأكثر، تنتقل بمحرك، لها فرامل، مقود من
الجانبين.

2. الحافلة: صفاتها: تنتقل بمحرك أربع عجلات على الأقل، الركاب أكثر
من ثمانية، المقود دائري، فرامل زيتية، مخطاف.....

3. سيارة: صفاتها: تنتقل بمحرك، أربع عجلات، مقود دائري، عدد
الركاب لا يقل عن أربعة و لا يزيد عن سبعة بفرامل زيتية، مغطاة.....

و لو درسنا هذه الخصائص المعنوية لوسائل النقل السابقة لوجدنا أنها
تختلف في بعض الخصائص و تتفق في أخرى.

و لهذا نجد أن أبا هلال العسكري قد تناول الفروق في اللغة في كثير من
الكلمات التي توهم الناس أنها مترادفة فأشار إلى ما بينها من فروق دقيقة
، رغم انتظامها في حقل دلالي واحد.

و بقي أن نعود إلى توضيح مفهوم الحقول المنتجمانية التي تشمل
الكلمات التي تترايط عن طريق الاستعمال ، دون أن تقع في الموقع
النحوي ذاته..... فكلما مثل كلب / نباح، فرس / صهيل، زهر /
يتفتح، طعام / يقدم..... أشقر / شعر، يسمع / أذن.... (15)

و بعضهم يقسم العلاقات بين كلمات الحقل المنتجماتي إلى:

1. الوقوع المشترك مثل في الانجليزية travel by foot أو go by

foot.

2. التنافر مثل **run by foot** و **walk by foot**

4- معجم الحقول الدلالية:

أدت نظرية الحقول الدلالية إلى وضع يعتمد كافة الحقول الدلالية في اللغة و تقدم فيه المفردات داخل كل حقل.

و ربما كان أشهر معجم أوربي مبكر صنف على أساس الموضوعات هو المعجم الذي وضعه **Roget** لكلمات اللغة الانجليزية و عباراتها، الذي ذكر في مقدمة هذا المعجم إلى أنه مرتب ليس على حساب النطق و لا الكتابة و إنما حسب المعاني.

و لعل أحدث معجم يعتمد نظرية الحقول الدلالية هو المعجم الذي عنوانه **Greek New Testament** و لا بد من الملاحظة هنا إلى أنه كان للعرب أسبقية في ميدان المعاجم المعنوية ابتداء من رسائل الموضوعات التي وضعها جامعو اللغة الأول.

و يقوم عمل معجم مصنف للمفاهيم على أساسين:

1. وضع قائمة بمفردات اللغة .

2. تصنيف هذه المفردات حسب المجالات أو المفاهيم التي تتناولها.

و كان (أولمن) قد قسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أنواع (16):

1. الحقول المحسوسة المتصلة: و المثال على ذلك نظام الألوان إذ أن مجموعة الألوان امتداد متصل من الممكن تقسيمه بطرق مختلفة، و تختلف اللغات في ذلك التقسيم.

2. الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة كنظام العلاقات الأسرية، و هي أيضا يمكن أن تصنف وفق معايير مختلفة.

3. الحقول التجريدية و تمثلها الألفاظ الخاصة بالمعاني الفكرية غير المحسوسة.

5- التطور الدلالي:

انطلاقاً من أن قائمة الألفاظ (الكلمات) منتهية مهما كثرت، و أن المعاني قائمة مفتوحة غير محدودة فإن تطور معاني الكلمات أو تغييرها و انتقالها أظهر ما يكون في تطور النظام اللغوي في جميع مستوياته. الصوتية و الصرفية و النحوية التي قد تكون شبه ثابتة إلى حد بعيد، و هذا لا يعني أن التطور في صورة الكلمات غير واقع و لكنه يظل أقل بكثير من التطور في الجانب الدلالي و هو ظاهرة شائعة في كل اللغات و ذلك لأن العوامل الاجتماعية و التغيرات الحياتية التي تواكبها اللغات تفرض ذلك. و نمثل لذلك:

كثيراً ما نطلق اليوم اسم أو لقب (قيصر) على كل حاكم عظيم أو جبار لأنه كان اسم علم لأحد أباطرة الرومان (يوليوس قيصر) و قد اشتق هذا الاسم من فعل لاتيني معناه يقطع أو يشق. لأن ذلك الإمبراطور قد ولد بعملية شق البطن فأطلق عليه هذا الاسم، و لازلنا نقول (عملية قيصرية) عن عملية الولادة التي تجرى بشق البطن.

و قد أورد الدكتور إبراهيم أنيس أيضاً عدد من الكلمات المستعملة في عاميتنا التي انحدرت من أصل عربي فصيح من ذلك: كلمة (البغدة) التي تعني التدلل، و ربما اقتصر استعمالها على وصف المرأة بهذه الصفة، و قد جاءت من استعمال قديم هو " تبغدد الرجل أي انتسب إلى بغداد و أهلها" ، أي أصبح متحضراً راقياً في سلوكه، لأن نظرتهم إلى بغداد حينئذ كانت كنظرة بعضنا اليوم إلى المدن الأوربية، و من ذلك أن

(طول اليد) كان قديما وصفا للسخاء و الكرم ، و أصبح اليوم يعبر عن السرقة.. (17)

و لعل موضوع الحقيقة و المجاز هو الذي يتصل بهذا التطور الدلالي. و قد وصف القدماء الحقيقة بأنها الدلالة الأصلية للفظ أي دلالة الوضع الأول، و أن المجاز هو المعاني الأخرى التي قد تكون للفظ غير ذلك المعنى الأصلي.

و قد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من أصر على أن الكلام كله حقيقة في حين يرى آخرون أنه كله مجاز بالإضافة إلى من يرى أن بعضه حقيقة و بعضه مجاز.

و الحقيقة أن قضية الحقيقة و المجاز فيها شيء من النسبية، و ربما يكون من الصعب تحديد المعاني الحقيقية الأصلية لأن المعنى ينتقل من الحقيقة (المعنى الأول الوضعي) الذي قد يصعب تحديده إلى معنى آخر على سبيل المجاز و لكنه يستقر فيصبح معنى حقيقيا ثم ينتقل إلى مجاز جديد و هكذا (18) ، و يمكن أن نوجز أهم عوامل التطور الدلالي بما يلي (19):

العامل الأول: أن الناس يتداولون الألفاظ و يتبادلونها عن ط. الأذهان و النفوس التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد ، و لبيئة الواحدة، و تتكيف الدلالة تبعا لذلك، و مع اشتراك الناس في معاني الألفاظ المركزية ، إلا أنهم يختلفون في حدودها الهامشية و في ظلالها ، و ما يكتنفها من ظروف و ملابسات تتغير و تتنوع بتنوع التجارب و الأحداث و لذلك تتم الانحرافات في الدلالة مع توارث الأجيال. و أبرز ما يمكن ذكره من عناصر هذا العامل (الاستعمال) ما يلي: .

1- سوء الفهم: فقد يسمع أحد لفظا و يفهم معناه بغير ما يقصده المتكلم، ثم ينقل

هذا الفهم الخاطئ و يتكرر و قد يعيش جنبا إلى جنب مع المعنى الأصلي المراد من المتكلم، و يحدث ما يسمى بالمشترك اللفظي....

2. تطور الألفاظ: أو شيء من التطور الصوتي فينتقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى له دلالة مختلفة، ففي كلمة (السغب) تطورت السين إلى تاء، فصارت اعنها.(تغب) و تعني الدرن و الوسخ.

3. الابتذال: الذي يصيب بعض الألفاظ لأسباب سياسية، أو اجتماعية أو عاطفية فكلمة (الحاجب) التي كانت تعني في الدولة العربية الأندلسية (رئيس الوزراء) ثم أصبحت تدل على خادم أو حارس على الباب، و مما يؤدي إلى ابتذال الألفاظ و انزوائها أن تكون متصلة بمعنى القذارة و الدنس أو الغريزة الجنسية ، و يستعاض عنها بكلمات أخرى أكثر غموضا. و من ذلك أيضا الألفاظ المتصلة بالموت و الأمراض مما يثير الهلع و الخوف في النفوس فتستبعد من الاستعمال و يستعاض عنها بكلمات أخرى أو يكنى عنها .

و نحن اليوم نسمع بعض الناس يقولون عن السرطان (ذاك المرض)

كناية، أو قد يقال عن تسمية ما يكره بالدارجة (اللي ما يتسمى)

أما العامل الثاني فهو الذي يسمى الحاجة، أي الحاجة إلى التجديد و التغيير في معاني الألفاظ، ويتم بقصد و إرادة من قبل الفئة النابهة الموهوبة من الشعراء و الأدباء أو من قبل الهيئات اللغوية الرسمية، كالمجامع اللغوية حيث يتم نقل اللفظ من مجاله المؤلف إلى

مجال آخر جديد، أما دوافع هذه الحاجة فتتمثل في التطور الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.

6- مظاهر التطور الدلالي:

غالبًا ما تمر التطورات و التغييرات الدلالية بمرحلتين:

1 - مرحلة التغيير الأولي، أو الابتداء

2 - مرحلة انتشار المعنى أو المفهوم الجديد وتعميمه. (20)

و أهم مظاهر هذا التغيير كما ذكرها الباحثون : (21)

أ - تخصيص الدلالة أو تصنيفها.

إذ أن هناك ألفاظًا تدل على العموم أو على الأجناس فتحدد و تخصص دلالتها باختصارها على نوع معين أو على فرد معين، حتى تصبح كأنها علم عليه، فالأعلام هي أقصى درجات الخصوصية. و لعامل ما تتطور دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوصية و ضيق المجال، فكلمة MEET الانجليزية كانت تعني مجرد الطعام و تعني الآن (اللحم) فقط. و مثل ذلك عندما تطلق الآن - في اللهجة المصرية - كلمة (العيش) على الخبز فقط . و كلمة الحج كانت تعني القصد إلى أي مكان فتخصصت بمعنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة.

ب - توسيع المعنى أو تعميم الخاص

(عكس الحالة السابقة) ، و هي أقل شيوعًا من الأولى. فقد يكون لكلمة ما دلالة محددة . فكلمة (البأس) مثلا كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدة. و مثال ذلك إطلاق كلمة (الورد) على كل زهر. و من ذلك أيضا إطلاق بعض الصفات التي كانت خاصة. و كانت علما على بعض الأشخاص على أشخاص اتصفوا بصفاته مثل (عنترة) عند إطلاقها

على كل شجاع و قد يرى طفل مصري نهرا فيقول: النيل..... و قد يسمى كل الأنهار النيل.

ج - انتقال الدلالة.

أو تغيير مجال استعمالها بسبب المشابهة بين مدلولين كقولنا: استقبال حار، و صوت عذب. و قد يكون الانتقال لحالة غير المشابهة كما هو في المجاز المرسل فتطلق كلمة (شتاء) على المطر و (الغيث) على العشب.

د - انحطاط الدلالة و انحدارها:

قد يكون لكلمة ما معنى ذو بال و أهمية في حياة المجتمع فتفقد هذه المكانة بسبب الشيوع أو كثرة الاستعمال، أو تغير الظروف السياسية و الإدارية و الاقتصادية و العادات و التقاليد. مثال ذلك أن كلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسورث العربوزراء، أما اليوم فتعني الحارس أمام أبواب الإدارة.

" و قد كان لكلمة (ثور) معنى شريف، و هو السيد، و ربما ورث العرب في الأدب القديم احترام الثور من الأمم السامية، حيث كان الثور نموذجا لإله القوة و الأصالة و الكرم. و كان له في أساطيرهم جناحان يطير بهما فجعلوه للسيد مجازا حتى سميت به أعلامهم " يد بن ثور الهلالي، و سفيان الثوري، و هو من أصحاب الحديث. أما اليوم فقد اقترن الثور بالمعنى السلبي، فهو علامة الحمق و الغباء و البلادة " (22)

الهوامش/المراجع :

- 1- الجرجاني علي بن محمد، التعريفات ، الدار التونسية للنشر، 1971، ص: 55،56.
- 2- فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي و محمد الشاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985، ص: 174.
- 3 - مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية، العدد2، 1993، ص: 34.
- 4 عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسيه في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص: 168.
- 5- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسيه في اللسانيات، مرجع سابق، ص: 170.
- 6- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسيه في اللسانيات، مرجع سابق، ص: 172.
- 7 سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر، 1992، ص: 4.
- 8- مجلة تجليات الحداثة، مرجع ساب، عالم: 34.
- 9- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط3، 1992 ، القاهرة، ص: 38.
- 10- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، مرجع سابق، ص: 170.
- ينظر كذلك: علم الدلالة لأحمد مختار، مرجع سابق، 79-113 .
- 11- أحمد مختار، علم الدلالة، مرجع سابق ، ص: 79.
- 12- المرجع السابق، ص: 79.
- 13- المرجع السابق ، ص: 80.
- 14 - عبد الكريم حسن، الموضوعية البنوية ، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان، 1403هـ/1982، ص : 336
- 15- 411. 15- علمكها تشتمل علي إحصائيات في هذا المضمار.
- 15- علم الدلالة، مرجع سابق ، ص: 81.
- 16- المرجع السابق، ص: 107.
- 17-- أحمد شامية :

- ، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 156 .
- مستويات الدلالة و المعنى مجلة المبرز العدد 8 المدرسة العليا
- 18- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، لأنجلو المصرية، ط 1972، 3، ص: 124 . نقلا عن كتاب أنيس، لبلومفيلد، ص: 429.
- 19- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص: 135 ، 136.
- 20- أحمد شامية، خصائص العربية، مرجع سابق، ص: 155، 156.
- 21- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ، مرجع سابق، ص: 152 ، 153.
- 22- إبراهيم السامراني. ، الدلالة بين السلب و الإيجاب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 37، نوفمبر، 1993 : ص: 68-69.